اختيار القصة التعليمية وفق نظرية بياجيه النمائية(نظرية النمو المعرفي)

د. آمنة محمد أبوالقاسم الطويل ـ قسم اللغة العربية ـ كلية التربية الزاوية
جامعة الزاوية

Choosing an educational story according to piaget's developmental theory (Cognitive development theory)

Amnnah Mohammed Aboulqasim

Abstract: -

We live in a reality that moves at a fast pace, tossed about by intellectual currents, drive by highly advanced scientific theories, and governed by numerous material, scientific, political, economic, and religious variables.

And most importantly of all, technology has come to control all aspects of life, and keep up with all of that, educational curricula most be designed and prepared in scientific way that keeps up with this tremendous development and follows it in a scientific way built on solid foundations emanating from a solid and modern scientific theory, and since the educational story is one of the means of conveying information and the best way to attract the learner's attention, this topic was linked to the most important educational theories, which are : Piaget's developmental theory(cognitive development theory) and how it is used to select different learning stories through two models of stories found in one of the Arabic language teaching curricula in the primary education stage.

الملخـــــــص:

نعيشُ واقعًا يسيرُ بإيقاع سريعٍ تتقاذفه تيارات فكرية، وتُحركه نظريات علمية مُتطورة جدًا، وتحكمه مُتغيرات عديدة: مادية، وعلمية، وسياسية، واقتصادية، ودينية

والأهم من كل ذلك التكنولوجية التي باتت تتحكم في شتى مناحي الحياة؛ ولمواكبة كل ذلك لابد للمناهج التعليمية أن تُصمم وتُعدّ بطريقة علمية تُواكب هذا التطور الهائل وتلاحقه بطريقة علمية مبنية على أُسس متينة مُنبثقة من نظرية علمية رصينة وحديثة، وبما أن القصة التعليمية إحدى وسائل إيصال المعلومات والطريقة المُثلى لجذب انتباه المُتعلم كان هذا الموضوع الذي رُبِط بأهم النظريات التعليمية وهي : نظرية بياجية النمائية (نظرية النمو المعرفي) وكيف يتم استخدامها لاختيار القصص التعليمية المختلفة من خلال نموذجين من القصص الموجودة في إحدى مناهج تدريس اللغة العربية في مرحلة التعليم الأساسي.

الكلمات المفتاحيـــــــــة:

نظريات علمية، التكنولوجية، التطور، القصص التعليمية

المقدمـــــــــة:

تُعدّ القصة القصيرة من الفنون النثرية الحديثة، التي ترتبط بحياة الناس فتصور جوانب منها، أو تحكي مواقف مختلفة، أو ترصد ظاهرة من ظواهر المجتمع ،أو مشكلة مَهمْا كان نوعها أو شكلها، وقد تقوم بأدوار أخرى غير ذلك، ومن هذه الأدوار المهمة الدور التعليمي، وقد عرفته البشرية منذ القدم في تلك الحكايات البسيطة التي كان الناس يتناقلونها في أسمارهم الليلية، أو في مجالسهم، ويكون الغرض منها مختلفًا ومتعددًا، فتارة يُراد منها التسلية والترويح عن النفس، وتارة أخرى يكون الغرض منها نقل أحداث وتاريخ معين فيه الكثير من البطولات، وفي أحيان أخرى يقصد منها تعليم الناس شيئًا معيّنًا: قد يكون معلومة أو مفهومًا تربويًا الغرض منه غرس القيم الخيرة أو المعاني الأخلاقية الراقية والفاضلة.

وانطلاقًا من هذا الدور الأخلاقي جاء استخدام القصة في المراحل التعليمية المختلفة لاسيما في الصفوف الأولى، ابتداءً من سن سبع سنوات إلى مرحلة إتمام التعليم الأساسي حوالي سن الرابعة عشر.

ومن هنا كان التساؤل المهم في هذا البحث هو: هل اختيار القصة في هذه المرحلة التعليمية مقنن مبنيّ على أسس وقواعد علمية صحيحة؟ أم هو اختيار عشوائي وغير مقصود؟ ومن خلال استقراء بعض المناهج التعليمية في مراحل التعليم الأساسي لا سيما منهج اللغة العربية للصف الخامس من التعليم الأساسي، وملاحظة ما ورد فيها من قصص مختلفة في مادة القراءة، كان اختيار هذا الموضوع لمعرفة الكيفية التي تمّ من خلالها اختيار القصص المختلفة في هذه المناهج، ولضمان حُسن توظيف هذا النوع من الفن في تعليم النشأ، وغرس قيم الخير والأخلاق الفاضلة والتعاليم الدينية السمحة كان اختياري (لنظرية بياجيه) في النمو المعرفي، لمعرفة مدى حضورها في استخدام الفن القصصي التعليمي ومدى مراعاة ما فيها من تدرج في المراحل العمرية المختلفة، ابتداء من مرحلة الطفولة إلى المراهقة، فالطفل الصغير مثلًا لا يفهم من القصص إلاّ ما استطاع إدراكه بالحواس، وكان موجودًا في خبراته؛ لأنه يستطيع أن يتخيل ويستوعب الأشياء التي تُدرك بالحواس المعروفة فقط، ولا يستوعب المعاني المجردة في المراحل العمرية الأولى .

كل ذلك وغيره من الأفكار والمعلومات والتساؤلات سيتم توصيفها والحديث عنها من خلال هذا البحث.

المبحث الأول ـ مفهوم القصـــــــــة:

الأجناس الأدبية هي القوالب الفنية التي يعرض من خلالها الأديب موضوعاته المختلفة بالكيفية التي تتلاءم مع الأفكار التي يقوم بعرضها ويتبناها ، فالقصة واحدة من الأجناس النثرية التي لاقت اهتمامًا كبيرًا من شعوب الأرض كافة، وتُعد من أكثر الآثار الأدبية التي تطورت سريعًا فواكبت بذلك تطور حياة الشعوب وجارت ما حصل من تقدم هائل في شتى مناحي الحياة، وقبل البحث عن أنواعها وأهميتها، لابد من الوقوف عند تعريفها لغة واصطلاحًا.

أولاً- تعريفها لغـــة: يقول ابن منظور في تعريفها: "والقصة الخبر ... وقصّ عليّ خبره يقصُّه قصًّا وقصصًا: أورده والقصص: الخبرُ المقصوص بالفتحة... والقِصص، بكسر القاف: جمع القصة التي تُكتب... والقِصة: الأمرُ والحديث"[1].

ثانيًا- تعريفها اصطلاحًا: عُرفت القصة في الاصطلاح تعريفات كثيرة سأورد هنا بعضها، وعرفها محمد يوسف نجم بأنها: "مجموعة من الأحداث التي يرويها الكاتب... تتناول حوادث تتعلق بشخصيات إنسانية وفق أساليب عيشها وتصرفاتها في الحياة"[2]. وهي: "فن يعالج قضية معينة من قضايا العالم الاجتماعي أو السياسي أو الديني أو الفلسفي بأسلوب أنيق عن طريق السرد والوصف والحوار"[3]. وعرفها عمر فروخ بقوله: "القصة هي نوع من أساليب الكتابة يُعنَى بالسرد بين عدد الجميع من الحوادث المعينة في إطار من الخيال وفي أسلوب يُخاطب العاطفة"[4]. وعرفها إبراهيم أنيس بقوله: " القصة التي تُكتب والجملة من الكلام حكاية نثرية طويلة تشتمل من الخيال أو الواقع معناها وتُبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي"[5]. و أما أحمد زبد فإنه يُعرفها بقوله:" القصة حكاية تعتمد على السرد والوصف وقد يدخل أحيانًا فيها الحوار وعناصرها الفنية الحديثة: "الحادثة- السرد- الشخصية – الزمان- المكان- الفكرة"[6]

تلك كانت بعض التعريفات المهمة للقصة، وأول ظهور[7] لهذا الفن كان في: الأدب اليوناني في القرن الثاني قبل الميلاد، ثم ظهرت في الأدب الروماني في نهاية القرن الأول قبل الميلاد، والظهور الأول كان للقصة الخيالية، ثم جاءت بعدها القصة التاريخية، وتلتها القصة الواقعية إلى أن تطورت حديثًا وصار للقصة أنواعٌ كثيرة يصعب حصرها.

وبهذا يمكن القول: إن البشرية عرفت القصة على مر العصور واختلافها، وعلى مدى حقبٍ متلاحقة من تاريخها القديم ومن ثم الحديث، وقد استعملتها الشعوب منذ بداية

الخليقة، لأغراض شتّى من بينها: الغرض التعليمي موضوع هذه الورقات البحثية

أنواع القصة:

قبل الحديث عن القصة التعليمية لابد من التعريف بأنواع القصة بصورة مبسطة ؛ حتى يتسنّى لنا معرفة النوع الذي تنتمي إليه القصة التعليمية، فللقصة حوالي خمسة أنواع هي على التوالي:

1ـ الرواية: هي أكبر الأنواع القصصية حجمًا ويعرفها روجر إلن بقوله: "الرواية نمط أدبي دائم التحول والتبدل، يتسم بالقلق بحيث لا يستقر على حال"[8]، ولو أردنا أن نقارنها بالقصة القصيرة لوجدنا بينهما اختلافًا واضحًا حيث "تختلف بُنية الرواية عن بُنية القصة القصيرة بطولها، وتعدد شخوصها، وامتداد أحداثها على حيز مكاني وزماني غالبًا ما يكون أوسع من الحيز الذي تجري فيه القصة القصيرة"[9].

2ـ القصة: هي وسط بين الرواية والأقصوصة، وفيها يحصر الكاتب اتجاهه في ناحية واحدة، يُسلط عليها خياله ويركز فيها جهده ويصورها في إيجاز، وتُعرف بعدة تعريفات من أهمها : "لونٌ أدبيٌ، يستهويه الصغار والكبار على السواء، فالطفل يُنصت باهتمام لأفراد أسرته حينما يقصون عليه قصة، بل إنه في كثير من الأحيان يطلب صراحة ويلح في الطلب من القادرين على الحكاية أن يمتعوه ببعض ما عندهم"[10].

3ـ القصة القصيرة: وهي تمثل حدثًا واحدًا في وقت واحد وزمان واحد، وهي "نوعٌ سردي يميل إلى الإيجاز والاختزال، والاعتماد على خيط أو عنصر مركزي واحد، تُميّز بقصرها إذ تُقرأ في جلسة واحدة، وبحبكتها التي تبدأ غالبًا وسط الأحداث، وبمحافظتها على وجهة نظر واحدة وموضوع واحد ونبرة واحدة"[11].

4ـ الأقصوصة: وهي أقصر من القصة القصيرة وتقوم على كتابة منظر واحد ومجموعة من الأحداث يرويها الكاتب ويصور فيها جزءًا من الحياة وعادة ما يكون أشخاصها قليلي العدد. وهي: "تعبر عن موقف أو لحظة معينة من الزمن، في حياة الإنسان ويكون الهدف التعبير عن تجربة إنسانية تقنعها بإمكان وقوعها فهي تصوير حي لجانب من الحياة في إيجاز وتركيز"[12].

وقد أجاز مجمع اللغة العربية في القاهرة استعمال الأقصوصة بمعنى القصة القصيرة، عندما شاعت هذه الكلمة مفردًا لأقاصيص، ورأت اللجنة بعد البحث والدراسة أنها كلمة مقبولة على الرغم من أنها لفظة مولدة، وأوصت بأن تُضاف إلى المعجم الحديث بمعناها الذي يستعملها المعاصرون فيه"[13].

5- الحكاية: هي سرد قصصي يروي تفصيلات حدث واقعي أو مُتخيل، وهو ينطبق عادةً على القصص البسيطة ذات الحبكة المتراخية الترابط، مثل حكاية ألف ليلة وليلة. وقد عرفها الدكتور محمد غنيمة هلال بقوله: "هي مجموعة أحداث مُرّتبة ترتيبًا سببيًا تنتهي إلى نتيجة طبيعية لهذه الأحداث المُرتبة تدور حول موضوع عام"[14]، وهذه الحكاية قد يكون موضوعها خرافة وأسطورة أو خيال ونحوها واستخدمت في الأدب العربي لنقل الحكمة والعبرة وأخذ الموعظة وهي: "فن قديم يرتكز على السرد، أي سرد خبر متصل بحدث قديم انتقل عن طريق الرواية المتداولة شفويًا عبر الأجيال، مما يجعلها تخضع للتطور عبر العصور نتيجة للخلق الحر للخيال الشعبي الذي ينتجها حول حدث أو حوادث مهمة بالنسبة للشعب"[15]، وهو موروث تتناقله الشعوب خلقته بخيالها الواسع وصورت فيه آلامها وكل آمالها وأمنياتها وكل أحداثها التاريخية، وحافظت عليه بالرواية الشفوية.

عناصر القصة:

1- الحدث: وهو مجموعة الأفعال والوقائع مرتبة ترتيبًا سببيًا، تدور حول موضوع عام، وتصور الشخصية وتكشف عن صراعها مع الشخصيات الأخرى، وهو السبب الرئيس والدافع الأساس لحدوث القصة، ولكل قصة حدث ومقدمة ووسط ونهاية . ولكل قصة خبر أو واقعة ترويها، وهذا الخبر تتصل عادة تفاصيله وأجزاؤه بعضها ببعض بحيث يكون لمجموعها أثر أو معنى كلي، والحدث هو الفعل أو الحادثة التي تشكلها حركة الشخصيات لتقدم في النهاية تجربة إنسانية ذات دلالة معينة، فالكاتب ينقل الأحداث من خلال تطور شخصيات الرواية، فالشخصية التي تحدد للحدث الروائي مساره وتعكس كل ما يوحي به"[16].

2 ـ العُقدة أو الحبكة: وهي مجموعة من الحوادث مرتبطة زمنيًا، ومعيار الحبكة الممتازة هو وحدتها، وهي سلسلة الأحداث وأفعال الشخصيات المتربطة بالصراع ويُمثل بنية السرد، وهي أحد عناصر القصة القصيرة وتعني ذروة الأحداث وأساسها علاقة الضرورة والسببية في الأحداث إذ تتبعها نتيجة أو حل[17] ؛ لأنها سير الأحداث باتجاه الحل.

3-الشخصيات: الشخصية أهم عناصر القصة ، وغالبًا ما تكون هناك شخصية رئيسية واحدة هي البطل، والأحداث تدفع البطل إلى الصراع مع شخصية أخرى، وهي أي: الشخصية "تُسخر لإنجاز الحدث، وهي تخضع في ذلك لصرامة الكاتب وتقنيات إجراءاته وتصوراته وبأيدولوجيته أي فلسفته في الحياة"[18]، وهي تلعب

الدور الأكبر في كل أنواع القصة. "والشخصية القصصية هي أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة، ولا يجوز الفصل بينهما وبين الحدث؛ لأن الشخصية هي التي تقوم بهذه الأحداث"[19].

4-الزمان: الكاتب المبدع يوحي لنا بأن الزمن الذي يتخيله هو زمن واقعي فكل حدث لأبد أن يقع في زمان محدد قد يكون حقيقيًّا أو متخيلًا فهو: "الزمان أو الأزمنة التي تحدث في أثنائها المواقف والوقائع المقدمة زمن القصة وزمن المسرود وزمن الحكي وتمثيلها زمن الخطاب وزمن السرد والزمن الروائي"[20].

5ـ **المكان:**وهو عنصر مهم في نسج أحداث القصة، ويصبح أحيانًا مشاركًا في الحدث القصصي، ووظيفة الزمان والمكان في العمل القصصي هي خلق الوهم لدى القارئ بأن ما يقرأه قريب من الواقع أو جزء منه، فلا فصل بين الزمان والمكان ؛ لأن كليهما مرتبط بالآخر.

هذه كانت أهم عناصر القصة بالمفهوم الأدبي المعروف أما القصة التعليمية فهي فكرة تعتمد على دمج فن الحكي (أي: القصة)؛ لتقديم المعلومات الأكاديمية للأطفال بطريقة شائقة ومسلية وجاذبة للانتباه، مما يُسهم في ثبات المادة التعليمية في أذهانهم وبدون الحاجة للتلقين والحفظ، بل وبدون كتاب.

فيا تُرى ما شروط استخــدام القصة التعليمية؟ وما مزاياها؟ وما أنواعها؟ وما الفائدة منها؟ وقبل الإجابة على هذه الأسئلة سأعرض لنظرية بياجيه في النمو المعرفي لكي تعرف كيف يتم اختيار القصة التعليمية بما يتلاءم مع النمو المعرفي للتلاميذ على مختلف المراحل العمرية، فلا يكون الاختيار بطريقة عشوائية بل يخضع لأسس ثابتة في الاختيار بما يتلاءم مع المراحل العمرية المختلفة.

المبحث الثاني ـ نظرية النمو المعرفي عند بياجيه (1896- 1980)[21]:

"يُعدّ بياجيه أهم علماء النفس والنمو والتطور المعرفي، فقد أعطى اهتمامًا ووزنًا كبيرًا لدراسة الطفل باستخدام الطريقة العادية... ومن خلال الأسئلة المصاغة لمعرفة كيفية دراسة تنظيم أفكار الطفل، وبهذا كانت نظريته حول التطور الذهني للمعرفة عند الطفل وصولاً إلى المراحل المعرفية التي يكونها الطفل خلال نموه"[22].

وتهدف نظرية بياجيه البنائية إلى دراسة بناء الفكر ونمو المعرفة بشكل متدرج، الأمر الذي جعله يلجأ إلى مقاربة بناء المعارف على امتداد النمو البيولوجي للإنسان ونظرية المعرفة تفسر الكيفية التي من خلالها تُكتسب المعرفة، وقد قسم بياجيه مراحل النمو المعرفي إلى أربع مراحل هي[23]:

1- مرحلة الحس حركية (مرحلة الإدراك الحركي) من الميلاد حتى (2) عامين.
2- مرحلة ما قبل العمليات (مرحلة الإدراك الحسي) من 2- 7 سنوات.
3- مرحلة العمليات المادية (مرحلة المنطق الحسي) من 7- 12 سنة.
4- مرحلة العمليات الشكلية (مرحلة المنطق الرمزي) من 13- ...الخ.

ولأن بداية الدخول إلى المدرسة هو عمر سبع سنوات فإنني سأركز على المرحلتين الثالثة والرابعة وهي مرحلة العمليات المادية من 7 حتى 12 سنة، مرحلة المنطق الحسي والرابعة مرحلة العمليات الشكلية أي (مرحلة المنطق الرمزي) والتي تبدأ من سن 13 سنة إلى نهاية المراحل.

حيث أكّد بياجيه على أن الأطفال يمرون بهذه المراحل وإن اختلفوا في تاريخ دخولهم لها، وعلى هذا التقسيم يمكن القول: إن مرحلة العمليات المادية تجعل التلميذ يفهم الأشياء التي تدرك بالحس، أما في مرحلة العمليات الشكلية فهو يفهم العمليات المجردة، لذلك ووفقًا لهذه المراحل يمكن اختيار القصص التعليمية في التدريس.

فما المقصود بالقصة التعليمية؟ وما أهميتها؟ وما شروط اختيارها؟

أولاً- مفهوم القصة التعليميـــة: لقد سبق وأشرت إلى مفهوم القصة وتنوع تعاريفها لدى النقاد أما القصة التعليمية فهي تُعرّف بأنها "حادثة وقعت لها بداية ونهاية مرتبطة بأسباب ونتائج تتخللها دروس وعبر يهفو إليها السمع وينجذب إليها الذهن ويتحرك لها الفؤاد ويتأثر منها الوجدان"[24]، فتسهم في العملية التعليمية والتربوية ؛ لأنها "لون أدبي يستهويه الصغار، والكبار على السواء، فالطفل يُنصت باهتمام لأفراد أسرته يقصون عليه قصة، بل إنه في كثير من الأحيان يطلب صراحة ويلح في الطلب من القادرين على الحكاية أن يمتعوه ببعض ما عندهم"[25] من القصص ، فهي تثير خياله وتحفزه للكشف عن أشياء كثيرة لم يألفها وتساعده في المشاركة الوجدانية مع شخصياتها المختلفة ، فيعيش معهم كل تفاصيلهم ويتبادل مع أبطالها وشخوصها أفراحهم وأتراحهم، وتكون مصدرًا من مصادر المعرفة عندهم، أيًّا كانت أشكال تلك المعرفة. ذلك هو مفهوم القصة التعليمية.

ثانيًا ـ أهمية القصة التعليميـــة: القصة من الأساليب الحديثة في تنشئة الطفل وتربيته ولها قدرة على جذب انتباه المتعلم بصفة عامة، والاستحواذ على تركيزه، لذلك من المهم استعمالها في العملية التعليمية فهي قادرة على تناول الموضوعات المختلفة بأساليب جذابة ، وتكمن أهمية القصة للعملية التعليمية في التالي[26]:\

1- تحفيز المتعلم لأخذ العبرة من أبطالها.

2- للقصة دور كبير في تهذيب المتعلمين والتأثير فيهم، وبث الفضائل والأخلاق الحميدة من خلال دفع المتعلم إلى الاقتداء بأبطالها.

3- هي وسيلة لجذب انتباه المتعلمين وإيصال المعلومات المختلفة بطريقة شائقة وممتعة.

4- إشباع حب الاطلاع لدى المتعلم لما في أسلوبها من إمتاع.\

5- تكمن أهمية القصة في تركيزها على (عملية الإيحاء)[27]، التي تُعدُّ من أهم وسائل الإقناع في التربية والتوجيه.

6- للقصة دور مهم في "خفض العدوان وذلك من خلال عرض القصص وتعديل السلوك خلال مواقف القصة وعرض مواقف الخير والشر والسلوك السوي وغير السوي"[28].

7- للقصة أثر كبير في تنمية القدرات العقلية والمعرفية وتنمية الذكاء العام.

8- للقصة أثر في تنمية التفكير الإبداعي.

9- للقصة أثر في تعليم اللغة وزيادة حصيلة الطفل اللغوية.

10- للقصة أثر في النمو الانفعالي والاجتماعي للمتعلم وتنمية الذكاء العاطفي، وتنمية الخبرات الحياتية.

11- للقصة أثر في تعليم المهارات الحركية.

12- تنمية شخصية المتعلم وقدراته العقلية، من خلال تمكينه من الحكم على الأشياء وربط الأسباب بالنتائج وتحقيق التوازن النفسي[29].

13- تدريب المتعلم على حُسن الإصغاء والملاحظة والاكتشاف.

14- تقريب المفاهيم المجردة، وإبرازها في صورة حية مجسدة بأسلوب يتناسب ومستوى إدراك المتعلم واستيعابه للأمور وخاصة إذا كان المتعلم طفلًا[30].

15- للقصة دور مهم في اكتشاف المحيط الاجتماعي بمختلف مكوناته وتنوع مجالاته، والتفاعل الإيجابي معه[31].

ثالثًا ـ شروط اختيار القصة التعليميـــة: للقصة دور كبير في التربية والتعليم، والمربي الناجح والمعلم الكفؤ هو من يستطيع توظيف القصة في العملية التعليمية، ويستفيد منها في شرح المعلومات المهمة للمتعلمين ولكي يستخدمها بطريقة جيدة لابد له من مراعاة مجموعة من الشروط المهمة وهي[32]:

1- أن تكون القصة مناسبة لعمر التلاميذ ومستوى نضجهم العقلي.

2- أن تدور القصة حول أفكار ومعلومات وحقائق يتم من خلالها تحقيق أهداف

مرسومة مسبقًا.

3- أن تكون الأفكار والحقائق والمعلومات في داخل القصة قليلة حتى لا يتشتت ذهن المتعلم.

4- أن تُقدَّم القصة بأسلوب ممتع وسهل يجذب الانتباه.

5- أن يكتفي باستخدام القصة في المعلومات التي تحتاج إلى هذا النوع من الأساليب.

6- أن يراعي المعلم تسلسل الحوادث المقدمة في إطار القصة.

7- على المعلم[33] - أيضًا - عند استخدام القصة أن يستخدم لغة سهلة واضحة وجملًا قصيرة ويبتعد عن الغموض.

8- يفضل أن يستخدم اللغة العربية الفصحى وينتقي الألفاظ والتعابير المناسبة للمرحلة العمرية للمتعلمين.

9- على المعلم أن يدرس القصة بشكل جيّد ويحدد بعض حوادثها التي يجب عليه أن يقف عندها فيصمت للحظة، ثم يستمر في سردها لإثارة الطلاب وتشويقهم لتلك القصة التي يُلقيها على مسامعهم لغرض التعليم[34].

10- لتحقيق كل ما سبق يجب أن تكون ثقافة المعلم واسعة جدًا، وأن يكون في ذاكرته مجموعة كبيرة من القصص؛ حتى يستطيع أن يختار ما يناسب المرحلة العمرية للمتعلمين وفق المعلومات التي يرغب في نقلها لهم.

كل ما تقدّم ينبغي فيه مراعاة المرحلة العمرية للمتعلم، فما يقدم للتلميذ الصغير لا يقدم للطلاب في الصفوف المتقدمة؛ لذا من المناسب في اختيار القصة التعليمية أن يكون اختيارها متوافقًا مع (نظرية بياجيه في النمو المعرفي) التي ذكرتها آنفًا، وللتدليل على هذا اختررت نموذجين لقصتين وُضِعتا في منهج اللغة العربية لتلاميذ الصف الخامس من مرحلة التعليم الأساسي

النص الأوّل:

هو الدرس السابع بالكتاب السالف الذكر وهي قصة بعنوان: (فَيْضُ الحُبِّ والعَطاءِ) وقد بدأها بقوله: "المحتُها بين الزحام مُتكِئةً على منسأتِهَا، تمشي الهُوينَى، توقفت تستردُّ أنفاسها، وتمسحُ العرقَ الْمُتصَبب من جبينها، إنّها معلمتي، صورتُها ماثلة أمامي لم تغبْ عني يومًا، رجعت بي الذاكرة إلى أول يوم رأيتها فيه، وجه مستدير، قامةٌ ممشوقةٌ، هيأةٌ جذابةٌ، وأناقة ملبس تفيضُ على وجهها ابتسامة هادئة، كدت أطير فرحًا لرؤيتها ....."[35]. هذا جزء مهم من النص وسأردفه بجزء من النص الثاني من نفس الكتاب.

النص الثاني:

وهو الدرس التاسع من نفس الكتاب تحت عنوان: (نَصِيحَةٌ) وقد بدأ النص بالتالي: "قالت العصفورة الأم: لا تحلِّق بعيدًا عن مجموعة العصافير وردَّ عليها مُحرِّكًا جناحيه الصغيرتين فرحًا بتعلمه الطيران، لقد صرتُ قادِرًا على الطيران وحدي – اسمع لكلام – لست بحاجة إلى الآخرين.. لا تقل هذا أيُها الصغير، دع عنك الغرور، العصافير لا تطير إلا في جماعات منسقة، لم يأبه لكلام أمه، طار وحده، ارتفع نحو الفضاء الواسع الفسيح، انتشى لحركة جناحيه الطريين ضاعف من سرعته، ارتفع أكثر، صَغُرت الأشياء تحته تلاشت، لم يعد يرى سوى الفراغ الكبير، وحين ألقى نفسه في عُلوٌ شاهق، شعر بوحدته، أحس أن الفضاء الواسع يلتهمه، وأنه صغيرٌ مثل نقطة، أدركهُ خوفٌ هائل بعث فيه الارتعاش، فتذَّكر أمّه ... غيّر اتجاهه، أسرع بالهبوط... لاحت له الأشياء التي تركها على الأرض... وصل إلى أمه لاهثًا مُنتفضًا مذعورًا، كانت تستعد للالتحاق بمجموعات العصافير، قالت له باسمةٌ: أراكَ عُدْتَ – قال لها بصوتٍ يتخلله الأسفُ: لن أطير وحدي مَرَّةً أُخرَى الكون واسعٌ وأنا صغيٌر جدًا، سأنضمُّ إلى سِربِ العصافيرِ"[36].

بالنظر إلى النصين السابقين يمكن القول: إن النص الأول لم يكن مناسبًا لهذه المرحلة العمرية حيث استخدم الكاتب كلمات صعبة على فهم تلاميذ هذه المرحلة العمرية من مثل قوله: (منسأتُها –الهوينى – ممشوقة) وأيضًا أسلوب عرضه لقصة لقاء التلميذ بمعلمته مليئة بمشاعر وأحاسيس اختلجت في نفسه وكأنه حديث النفس للنفس، ومثل هذه المشاعر يصعب فهمها لهذه المرحلة العمرية المبكرة وأميل إلى القول إنّها تلائم مَن هم في مراحلَ متقدمة أكثر لأنهم يستطيعون فهم الأشياء المجردة أكثر.

أما في النص الثاني فقد وفق الكاتب في تقديم قصة العصفور وأمه، حيث أن التلميذ في هذه المرحلة العمرية يستطيع أن يستوعب الأشياء المحسوسة ويصعب عليه إدراك المعاني المجردة فهو يفهم كل ما هو في خبراته، فالعصفور موجود في الطبيعة يعرفه ويراقبه، وفي أغلب الأحيان هو واحدٌ من ألعابه التي اعتاد أن يكلمها ويلعب معها ،ولذا بإمكانه أن يستوعب ما جرى من حديث بين العصفور وأمه ويستفيد من الدرس الذي علمته العصفورة الأم لابنها ، وبالتالي يمكن لهذه القصة التعليمية أن تصل إلى الهدف أو الأهداف التعليمية المرجوة منها على خلاف القصة الأولى وهي (قصة فيض الحُبِ والعطاء)؛ لأنها في رَأْيِي الخاص لا تتناسب مع هذه المرحلة العمرية والتي سماها بياجيه: مرحلة العمليات المادية[37]، (مرحلة المنطق الحسي) وتتمثل من

سنة 7- 12 سنة وهي المرحلة التي يقع ضمنها طلاب الفصل الخامس ابتدائي حيث تتراوح أعمارهم بين العاشرة أو الحادية عشرة.

وبالنظر إلى ما سبق يمكن القول: إنه لو تَتَبَّعنا الكثير من القصص التعليمية الموجودة ضمن مناهج اللغة العربية في مراحل التعليم المختلفة سنجد بعضها يتماشى مع المراحل العمرية المختلفة ويراعيها، والبعض الآخر لا يتوافق مع المراحل المختلفة لأعمار التلاميذ والطلاب على اختلاف صفوفهم مع ملاحظة تداخل هذه المراحل العمرية، ومراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ.

نتائج البحث:

1- تُعدّ القصة من أقدم الفنون التعبيرية التي عرفها الإنسان على مر العصور ، وهي تقوم بأدوار تعليمية مهمة في حياة البشرية.

2- القصة في الأدب العربي لها عدة أنواع وهي: القصة، الرواية، القصة القصيرة، الأقصوصة، الحكاية.

3- من أهم نظريات التعلم نظرية بياجيه التي قسمها إلى أربع مراحل تتلاءم مع المراحل العمرية التعليمية المختلفة.

4- ركز البحث على المرحلتين الثالثة والرابعة من مراحل نظرية بياجيه.

5- القصة التعليمية تحتوي كل عناصر القصة المعروفة من زمان ، ومكان، وشخصيات ، وحدث، وحل، وعقده وهي: من الأساليب الحديثة في تنشئة الطفل وتربيته ولها قدرة على جذب انتباه المتعلمين من تلاميذ وطلاب على اختلاف مراحلهم العمرية.

6- القصة التعليمية لابد أن تتقيد بجملة من الشروط التي تجعلها قادرة على القيام بدورها المهم في التربية والتعليم ، والمعلم الكفؤ من استطاع توظيف القصة التعليمية لتحقيق الأهداف التي سعى إليها من خلال اختيارها.

7- للقصة التعليمية أهمية كبيرة في العملية التعليمية فهي تنمي القدرات العقلية والمعرفية للمتعلم سواء أكان تلميذًا أم طالبًا، وتنمي الذكاء، وتسهم في تنمية التفكير الابداعي وزيادة الحصيلة اللغوية، ولها أثر كبير على النمو الانفعالي والاجتماعي للمتعلم، وتزيد الخبرات الحياتية للمتعلم، وتقرب المفاهيم المجردة وتساعد المتعلم في بناء شخصيته، وتمكنه من الحكم الصحيح على الأشياء ،وتدربه على حسن الإصغاء، وتمنحه القدرة على الملاحظة واكتشاف المحيط من حوله.

8- من أهم أدوار القصة تحفيز المتعلم إلى أخذ العبرة من أبطالها واكتساب الفضائل

والأخلاق؛ ولذا من المهم عند اختيار القصة في رَأْيِي أن تكون شخصياتها مؤثرة تحمل الكثير من الصفات الإيجابية المهمة في العملية التعليمية.

9- ينبغي لواضعي المناهج التعليمية عند اختيار القصص التعليمية مراعاة كافة الشروط السابقة في اختيار القصة.

10- لا بد لواضعي المناهج الاستفادة من النظريات التعليمية لاسيما نظرية (بياجيه النمائية)

الهوامـــــــــش:

(1) لسان العرب، تحقيق : ياسر سليمان أبو شادي ومجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ص 199، مادة قصص.
(2) فن القصة، يوسف نجم ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 1966م، ص9.
(3) الأجناس الأدبية، محفوظ محوال، دار النشر والطباعة الأولى، النثرية والشعرية، ص51.
(4) المنهج الجديد في الأدب، عمر فروخ، دار العلم للملايين، 1969م، ص 196.
(5) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وأصحابه، دار المعارف، بيروت، ص 740.
(6) المباحث في الأدب المقارن، إعداد أحمد زيدون، 2021م، ص 34.
(7) ينظر: المرجع نفسه والصفحة نفسها، ص34.
(8) الرواية العربية، روجر آلن، ترجمة: حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997م، ص 7.
(9) ماهية الرواية، الطيب بوعزة، عالم الأدب للبرمجيات والنشر، دار الكتب المصرية، القاهرة، ص 18.
(10) الشامل في طرق تدريس الأطفال، محمد بن محمود العبد لله، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013م، ص 199.
(11) الرواية والقصة القصيرة عند العرب، دليل القارئ العام، محمد عبيد الله،/ ص 12.
(12) القصة الجزائرية القصيرة، عبدالله الركيبى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 2009م، ص 133.
(13) ينظر: المعجم المفصل في علوم اللغة، محمد التونجي وراجي الأسمر ج2، ص 789.
(14) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 504.
(15) أنواع النثر الشعبي، رابح العويب، منشورات جامعة، باجي مختار، عنابة، (د. ط)، ص 35.
(16) التشكيل الروائي عند نجيب محفوظ(دراسة في تجليات الموروث) ينظر: محمد أحمد القضاة، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000م، ص69.
(17) يُنظر: فنون النثر العربي الحديث، حسني محمود وآخرون، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ص 24.
(18) في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عبد المالك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة الفنون والآداب، الكويت، 1998م، ص 75.
(19) تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، شربيط أحمد شربيط، منشورات اتحاد الكتاب العربي، 1998م، ص 31.
(20) المصطلح السردي، جيرالد برنس، ترجمة: عايد خزندار، و محمد بريري، الطبعة الأولى، 2003م، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ص 234.
(21) وهو من بين علماء النفس المعرفين الذين خرجوا بنظرية معرفية تغاير كل ما جاءت به المدارس السلوكية آنذاك وبخاصة فيما يتعلق بنمو العمليات الإدراكية في كل مرحلة من مراحل تطور الفرد

بدءًا من مرحلة الميلاد وحتى ما بعد المراهقة ، ينظر: نظريات التعليم ، العجيلي سركز وناجي خليل ،منشورات جامعة قاريونس بنغازي ليبيا ، الطبعة الثانية ،1996م،ص49.

(22) فن التدريس بالقصة، على عبد الظاهر علي، دار عالم الثقافة للطباعة والنشر ولتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2017م، ص 80.

(23) ينظر: نظريات التعليم، العجيلي سركز وناجي خليل ، ص52.

(24) http://www.abegs.org/Aportal/post/show?id=19778&forumid=23

(25) مجلة جسور المعرفة ، المجلد الرابع ، العدد الأول ، بحث بعنوان : تعليمية القصة بين الأهمية وخطوات تدريسها ، ليلى سهل جامعة بسكرة الجزائر، ص157.

(26) ينظر: فن التدريس بالقصة، على عبد الظاهر علي، ص 10- 12.

(27) الإقناع في التربية الإسلامية ، سالم بن سعيد بن مسفر جبار ،دار الأندلس الخضراء جدة ، 1419ه، ص103 وما بعدها.

(28) فاعلية برنامج إرشادي قائم على فن القصة لخفض السلوك العدواني لدى المعاقين غير القابلين للتعلم، ماجستير كلية التربية، الجامعة الاسلامية، غزة، 2011م، ص 56 وما بعدها.

(29) ينظر: سيمياء القصة للأطفال بالجزائر، أطروحة دكتوره، يحي عبد السلام، جامعة فرحات عياد سطيف، الجزائر، 2011م، ص22.

(30) ينظر: التربية بالقصة في الإسلام تطبيقاتها، هناء الجعفري، جامعة أم القرى، كلية التربية، 1428هـ، ص16.

(31) ينظر: الكتاب الأبيض، وزارة التربية الوطنية، لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية، يونيو 2002م، ط1، ص24.

(32) ينظر: فن التدريس بالقصة ،علي عبد الظاهر علي، ص 192-194.

(33) بحث بعنوان : تعليمية القصة بين الأهمية وخطوات تدريسها، مجلة جسور المعرفة، المجلد 4، العدد 1، ص 159 .

(34) ينظر: أصول وطرائق تدريس اللغة العربية، فتحي ذياب سبيتان، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، 2010م، ص191

(35) كتاب اللغة العربية للصف الخامس من مرحلة التعليم الأساسي، إعداد لجنة مُتخصِّصة بتكليف من مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية، تصميم وإخراج انور محمد يزّع، للعام الدراسي 2024-2025م، وزارة التربية والتعليم ، ليبيا، ص 61.

(36) المصدر نفسه ، ص 52- 53.

(37) ينظر: نظريات التعليم، د العجيلي سركز، ناجي خليل، ص 52.